

اللغوية - التعبيرية .

ولست أجد أية مفارقة في قولي إنَّ حداثة الغرب (المتأخرة) هي التي جعلتني أكتشف حداثتنا العربية (المتقدمة) ، فيما يتجاوز نظامنا الثقافي السياسي « الحديث » ، الذي أنشئ على مثالٍ غربيّ .

أما وجه المشكلة ، في هذا الإطار ، فهو أنَّ الشاعر العربيّ الحديث يرى نفسه في تعارضٍ أساسيٍّ مع ثقافة النظام العربيّ ، التي تستعيد الأصول تقليدياً ، ومع الثقافة الغربية كما يتبناها هذا النظام العربيّ ويُعمّمها . إنه نظامٌ يفصلنا عن الحداثة العربيّة ، أي عن أعمق وأغنى ما في تراثنا - ، متواطئاً في ذلك مع الاتجاهات التقليدية المهيمنة ، ومع بنية ثقافية نشأت في المناخ الاستعماريّ تفرض علينا التّواصل مع المنجزات الغربيّة - لكن ، بأشكالها التقنيّة ، والاستهلاكيّة .

وتتمثّل المشكلة بجانبها الحاد ، في كون الشاعر العربيّ الحديث حقاً يعيش في حصارٍ مزدوج ، تضربه عليه ثقافة التبعيّة للأخر ، من جهة ، وثقافة الارتباط الجنينيّ بالماضيّ التقليديّ ، من جهة ثانية .

نضيف إلى ذلك ، ما يُعطي لهذا الجانب طابعه الأكثر حداً ، وأعني به وضع اللّغة العربيّة ذاتها . فقد نشأ العربيّ في ثقافة ترى إلى اللّغة بوصفها صورته الناطقة ، وبوصفه صورتها الشاعرة والمفكّرة ، فهي وحدة عقلٍ وشعور ، وهي الرّمز الأوّل للهويّة العربيّة ، وضمّانها الأوّل ، كأنّ اللّغة في هذه